ومتقلبه ومفترشه ثم خلق السماء التي هي كالقبة المضروبة والخيمة المطنبة على هذا القرار ثم ما سوّاه
عز وجل من شبه عقد النكاح بين المقلة والمظلة بانزال الماء منها عليها والاخراج به من بطنها اشباه النسل
المنتج من الحيوان من الوان الثمار رزقا لبني آدم ليكون لهم ذلك معتبرا ومتسلقا الى النظر الموصل الى التوحيد
والاعتراف ونعمة يتعرفونها فيقابلونها بلازم الشكر ويتفكرون في خلق انفسهم وخلق ما فوقهم وتحتهم وان شيئا
من هذه المخلوقات كلها لا يقدر على ايجاد شيء منها فيتيقنوا عند ذلك ان لا بد لها من خالق ليس كمثلها حتى
لا يجعلوا المخلوقات له اندادا وهم يعلمون انها لا تقدر على نحو ما هو عليه قادر والموصول مع صلته اما ان يكون
في محل النصب وصفا كالذي خلقكم او على المدح والتعظيم واما ان يكون رفعا على الابتداء وفيه ما في النصب من
المدح وقرا يزيد الشامي بساطا وقرا طلحة مهادا ومعنى جعلها فراشا وبساطا ومهادا للناس انهم يقعدون
عليها وينامون ويتقلبون كما يتقلب احدهم على فراشه وبساطه ومهاده فان قلت هل فيه دليل على ان الارض
مسطحة وليست بكرية قلت ليس فيه الا ان الناس يفترشونها كما يفعلون بالمفارش وسواء كانت على شكل
السطح او شكل الكرة فالافتراش غير مستنكر ولا مدفوع لعظم حجمها واتساع جرمها وتباعد اطرافها واذا
كان متسهلا في الجبل وهو وتد من اوتاد الارض فهو في الارض ذات الطول والعرض ابهل والبناء
مصدر سمي به المبني بيتا كان او قبة او خباء او طرافا وابنية العرب اخبيتهم ومنه بنى على امرأته لانهم
كانوا اذا تزوجوا ضربوا عليها خباء جديدا فان قلت ما معنى اخراج الثمرات بالماء وانما خرجت بقدرته ومشيئته
قلت المعنى انه جعل الماء سببا في خروجها ومادة لها كماء الفحل في خلق الولد وهو قادر على ان ينشئ الاجناس
كلها بلا اسباب ولا مواد كما انشأ نفوس الاسباب والمواد ولكن له في انشاء الاشياء مدرجا لها من حال
الى حال وناقلا من مرتبة الى مرتبة حكما ودواعي يجدد فيها لملائكته والنظار بعيون الاستبصار من
عباده عبرا وافكارا صالحة وزيادة طمأنينة وسكون الى عظيم قدرته وغرائب حكمته ليس في انشائها
بغتة من غير تدريج وترتيب ومن في من الثمرات للتبعيض بشهادة قوله فاخرجنا به من كل الثمرات
وقوله فاخرجنا به ثمرات ولان المنكرين اعني ماء ورزقا يكتنفانه وقد قصد بتنكيرهما معنى
البعضية كانه قيل وانزلنا من السماء بعض الماء فاخرجنا به بعض الثمرات ليكون بعض رزقكم وهذا
هو المطابق لصحة المعنى لانه لم ينزل من السماء الماء كله ولا اخرج بالمطر جميع الثمرات ولا جعل
الرزق كله في الثمرات ويجوز ان يكون للبيان كقولك انفقت من الدراهم الفا فان قلت فبم
انتصب رزقا قلت ان كانت من للتبعيض كان انتصابه بانه مفعول له وان كانت مبينة

كان مفعولا لاخرج فان قلت فالثمر المخرج بماء السماء كثير جم فلم قيل الثمرات دون الثمر والثمار قلت فيه وجهان
احدهما ان يقصد بالثمرات جماعة الثمرة التي في قولك فلان ادركت ثمرة بستانه تريد ثماره ونظيره قولهم
كلمة الحويدرة لقصيدته وقولهم للقرية المدرة وانما هي مدر متلاحق والثاني ان الجموع يتعاور بعضها موقع
بعض لالتقائها في الجمعية كقوله كم تركوا من جنات وثلاثة قروء ويعضد الوجه الاول قراءة محمد بن السميفع
من الثمرة على التوحيد ولكم صفة جارية على الرزق ان اريد به العين وان جعل اسما للمعنى فهو مفعول به كانه
قيل رزقا اياكم فان قلت بم تعلق فلا تجعلوا لله قلت فيه ثلاثة اوجه ان يتعلق بالامر اي اعبدوا ربكم
فلا تجعلوا له اندادا لان اصل العبادة واساسها التوحيد وان لا يجعل لله ند ولا شريك او بلعل على ان ينتصب
تجعلوا انتصاب فاطلع في قوله عز وجل لعلي ابلغ الاسباب اسباب السموات فاطلع الى اله موسى في رواية
حفص عن عاصم اي خلقكم لكي تتقوا وتخافوا عقابه فلا تشبهوه بخلقه او بالذي جعل لكم اذا رفعته على الابتداء
اي هو الذي حفظكم بهذه الآيات العظيمة والدلائل النيرة الشاهدة بالوحدانية فلا تتخذوا له شركاء والند
المثل ولا يقال الا للمثل المخالف المناوي قال جرير اتيما تجعلون الي ندا وما تيم لذي حسب نديد
وناددت الرجل خالفته ونافرته من ند ندودا اذا نفر ومعنى قولهم ليس لله ند ولا ضد نفي ما يسد مسده
ونفي ما ينافيه فان قلت كانوا يسمون اصنامهم باسمه ويعظمونها بما يعظم به من القرب وما كانوا يزعمون انها
تخالف الله وتناويه قلت لما تقربوا اليها وعظموها وسموها آلهة اشبهت حالهم حال من يعتقد انها آلهة
مثله قادرة على مخالفته ومضادته فقيل لهم ذلك على سبيل التهكم وكما تهكم بهم بلفظ الند شنع عليهم واستفظع
شأنهم بان جعلوا اندادا كثيرة لمن لا يصح ان يكون له ند قط وفي ذلك قال زيد بن عمرو بن نفيل حين فارق دين
قومه اربا واحدا ام الف رب ادين اذ تقسمت الامور وقرا محمد بن السميفع فلا تجعلوا لله ندا فان قلت
ما معنى وانتم تعلمون قلت معناه وحالكم وصفتكم انكم من صحة تمييزكم بين الصحيح والفاسد والمعرفة بدقائق
الامور وغوامض الاحوال والاصابة في التدابير والدهاء والفطنة بمنزلة لا تدفعون عنه وهكذا كانت
العرب خصوصا ساكنو الحرم من قريش وكنانة لا يصطلى بنارهم في استحكام المعرفة والتوبيخ فيه آكد اي انتم
العرافون المميزون ثم ان ما انتم عليه في امر ديانتكم من جعل الاصنام لله اندادا هو غاية الجهل ونهاية سخافة
العقل ويجوز ان يقدر وانتم من اهل العلم والمعرفة والتوبيخ تعلمون انه لا يماثل او وانتم تعلمون ما بينه
وبينها من التفاوت او وانتم تعلمون انها لا تفعل مثل افعاله كقوله هل من شركائكم من يفعل من ذلكم من شيء

Copyright ... King Saud University